دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلد 23 العدد 01 السنة 2023 ص ص119-136
ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

أهمية المنهج في البحث الفلسفي

The importance of the curriculum in philosophical research

برتيمة وفاء [1]
[1] جامعة باتنة1 philowafa25@gmail.com

تاريخ الاستلام: 27 / 09 /2021 تاريخ القبول: 02 / 05 /2023 تاريخ النشر :2023/06/30

Abstract:

The research paper, which refers to the importance of the curriculum in philosophical research, focuses on revealing the necessity of the curriculum as a system and a rule that keeps the mind from falling into cognitive and logical fallacies according to systematic steps, especially since philosophy is the queen of rational and critical thinking in the search for the origin, nature and limitations of facts, a metric that judge it as much about the progress of civilization as it is pervasive in philosophy; while The approach is the plan that Through it, a philosopher is imbued with the power of his thoughts and his attitude. This type of approach follows the nature of the philosophy espoused by the philosopher-a rational philosopher -empirical philosopher This is what philosophical thinking sought to respect its terms and its mental and methodological rules through various philosophical and cognitive eras in order to achieve a comprehensive, coherent or harmonious cognitive system.

المؤلف المرسل: برتيمة وفاء
البريد الالكتروني:philowafa25@gmail.com

The progress of philosophical thinking was not only limited to seeking to increase scrutiny in formulating its problems, but also to searching for a curriculum that meets the philosophical nature and its extensions to the various fields of knowledge.

Keywords : curriculum; philosophy; objectivity; science. Philosophy.

الملخص:

تركز الورقة البحثية المؤشرة بـ(أهمية المنهج في البحث الفلسفي) إلى الكشف عن ضرورة المنهج كنظام وقاعدة تحفظ العقل من الوقوع في المغالطات المعرفية والمنطقية وفق خطوات منهجية مرتبة، لاسيما أن الفلسفة هي ملكة للتأمل العقلاني والنقدي في البحث عن أصل الحقائق و طبيعتها وحدودها، وهي المقياس الذي نحكم به عن تقدم الحضارة بمقدار شيوع التفلسف فيها، في حين المنهج هو الخطة التي يرافع من خلالها الفيلسوف على قوة أفكاره وموقفه، إذا يتبع نوع المنهج طبيعة الفلسفة التي يتبناها الفيلسوف -فيلسوف عقلاني /فيلسوف تجريبي /.وهذا ما سعى الفكر الفلسفي إلى احترام شروطه واحترام قواعده العقلية والمنهجية عبر مختلف العصور الفلسفية و المعرفية من أجل تحقيق نظام معرفي يتسم بالشمول والاتساق أو الانسجام الداخلي، ذلك أن تقدم الفكر الفلسفي لم ينحصر فقط في السعي إلى زيادة التدقيق في صياغة مشاكله، وإنما كذلك في البحث عن منهاج يستوفي الطبيعة الفلسفية وامتداداتها إلى مختلف حقول المعرفة المقابلة.

الكلمات المفتاحية: منهج؛ فلسفة؛ موضوعية؛ تفلسف؛ علم.

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

1. مقدمة:

يُعَدُّ البحث أحد أهم ركائز تحصيل المعارف والعلوم وإنْ اختلفت الطُّرق والمناهج فيه، لاختلاف الحقول المعرفية بين علمية وأدبية وفلسفية هذه الأخيرة التي تمتاز بتعدُّد واختلاف وتنوُّع المناهج المعرفية في تقصي الحقائق وتداخل هيكلتها البنائية بين المنهج وعلم المناهج والمنهجية ضمن وحدة منطقية تجمع بين مختلف المعارف الفلسفية وفروع العلم؛ رغم تقاطعها على مستوى طبيعة المجالين والأهداف والموضوعات، غير أنَّ أهمية المنهج في البحث الفلسفي لا مناص أنَّها ضرورة عقلانية مُلحَّة ترفع من خلاله قضايا الفلسفة من خطابات الفوضى والحركة العشوائية إلى خطابات ناضجة بناءً ومبنًى أو فكرةً ومنهجًا، فالفلسفة خارج أسوار المنهج تفقد بنيتها الخاصة في النقد ،ومن أجل تحقيق مهمة الفلسفة المنظمة والهادفة في تقصى الحقائق والموضوعية ، وهذا لا يكون إلا باستغلال قدراتنا على التّفلسف المنظم للانتقال بسُلَّم الإشكال نحو أنساق فلسفية كلية أو حقائق شمولية تتوقف على دور التهيئة العقلانية في الفلسفة وقوة منهج البحث المعتمد مهما تنوَّعت طبيعته، لأنَّ المنهج في الفلسفة واحد متعدِّد (تنوُّع تصورات الفلسفة في فئات متداخلة مع المحافظة على بنية الفلسفة الخاصة بالنّقد، وكما يقال ربما كان من المناهج في الفلسفة بقدر ما ندرسه من مواد وأكثر) التحليل والمفهمة والأشكلة والحجاج، وهذا لا يتحقق إلا بإدراك المتفلسف قيم الفلسفة المتعدِّدة في تحقيق الموضوعية بالتساؤل المستمر داخل بيت الوجود وخارجه، مما يجعل منهج البحث في الفلسفة متنوّعًا بتعدد طبيعة قضاياه المُثارة مع اختلاف زمانية عصره وظروفه، ما يجعل المنهج يكشف عن تداخل مهام الفيلسوف مع مهام العالم في تحصيل اليقين المتأرجح بين خصوصية المطلق الفلسفي وخصوصية النسبي العلمي، الفارق الذي

يصنع الهوة في درجة الموضوعية ومصداقية اليقين وحدود النتائج ومنه تتمشكل عقدة بحثنا في التساؤل الآتي: **ما ضرورة المنهج في البحث الفلسفي، وماهي تجلياته الوظيفية في تحقيق التضايف بين ديمومة التساؤل وصيرورة الجواب؟**

طبيعة الموضوع فرضت علينا المنهج التحليلي الملائم للقضية المعالجة وحيثياتها، وتكمن أهمية الموضوع في التأكيد على ضرورة المنهج كنظام وقواعد وضوابط نظرية وعملية وخطة تحقيق وتحقُّق معرفي وعلمي، بإبرازنا لأهمية حضوره في الماضي الفلسفي ومزاياه العقلية والمنطقية والحضارية واقترانه بموضوعات مشتركة بين الحقول المعرفية رغم تضادّ طبيعتها الجوهرية.

2. ضرورة البحث الفلسفي:

يُسلِّم العقل الفلسفي الباحث بأهمية البحث، وهذا يبرهن على ماهية الفلسفة حسبه وهي: «عملية تواصل مستمر مع الكائنات، وأنَّ ماهية الفلسفة تكمن في البحث عن المعرفة لا في امتلاكها، إلا أنَّ الفيلسوف يخطئ عندما يخون هذه الأصالة وينحدر إلى مرتبة ومعرفة عقدية مقبولة في تعابير نهائية مُعدَّة للانتقال بالتعلُّم والتعليم كمذاهب مكتملة إنَّ من يتفلسف يكون دائما على درب الحقيقة، فالأسئلة هي أكثر أهمية من الأجوبة وكل جواب دائما بمثابة سؤال جديد»[1]، وضرورة المنهج الذي يمثل عملية القيادة للبحث وتدبير وتنظيم حيثياته إلى أنْ يصبح في قالب معرفي مكتمل؛ وهذا ما تُؤمن به جل المذاهب والنظريات والأنساق الفلسفية؛ أي إيمانها بلزومية المنهج للبحث الفلسفي مهما كان نوعه لاسيما أنَّ موضوعات الفلسفة متعددة لكثرة مشكلاتها وقضاياه، فإذا كان البحث (**Resarch**) يفيد معنى: «الطريقة التي تحل بواسطتها المشكلات المعقدَّة، كما يُعرف بأنَّه محاولة منظمة للوصول إلى إجابات أو حلول للأسئلة أو المشكلات التي تواجه الأفراد أو الجماعات في مواقعهم ومناحي حياتهم»[2]، وهذا ما سعى الفكر الفلسفي إلى احترام شروطه واحترام قواعده العقلية والمنهجية عبر مختلف العصور الفلسفية والمعرفية من أجل تحقيق نظام معرفي يتسم بالشمول والاتساق أو الانسجام الداخلي، ذلك أنَّ

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

تقدُّم الفكر الفلسفي كما يقول "دلبوس" (DELBOS): «لم ينحصر فقط في السعي إلى زيادة التدقيق في صياغة مشاكله، وإنَّما كذلك في البحث عن منهاج، هذا المنهاج الذي يتحوَّر حسب طبيعة المشكل الذي يريد الفيلسوف حله والمغزى الذي يتابع فيه الحل »[3]، إنَّ المكانة المركزية التي يشغلها "سقراط" في تاريخ الفلسفة اليونانية كانت :«ترتبط دون شك بإسهاماته في المنهج، ووجود كلمة ديالكتيك (الجدل) في حد ذاتها- والتي قامت منذ عصره حتى عصرنا الراهن على مجموعة هامة من التصوُّرات المنهجية - تدين في أصولها إلى طريقة سقراط في المناقشة الفلسفية وعندما سأل أرسطو نفسه ما الإسهام الذي قدمه سقراط للفلفة أجاب بما يفيد أنَّ سقراط يعد - في رأيه- أساسا مبتكر لمنهج ما في الفلسفة»[4].

غير أنَّ موضوعات التفلسف الهادف تظل مرتبطة بمجالات الفلسفة الرئيسية وهي: نظرية المعرفة، الميتافيزيقا، فلسفة العلوم، تتناول نظرية المعرفة إمكان قيام المعرفة الموضوعية ومواجهة حجج الشكاك أو استحالة قيام تلك المعرفة، نظرية الإدراك الحسي وموضوعات هذا الإدراك ومدى استقلالها عن تلك العملية الإدراكية واعتمادها عليها، ومعيار الصواب والخطأ في أحكامنا ومشكلات الذاكرة ومعرفة الماضي الذي لن يعود ومشكلات التصورات القبلية والمقولات وموضوع اليقين والاحتمال وهذه الموضوعات المحورية تتقاطع فيها الفلسفة والعلم في الكثير من الحيثيات، مما يؤكد أنَّ الفلسفة تقترب من لغة العلم وحقله: «إنَّ لدى الفلاسفة أدوات مشتركة مع كل أنواع الفكر البشري ولكن هل توجد أدوات فلسفية خاصة، أدوات ثابتة ودائمة يمكن أن نستخدمها كما نستخدم التقويم أو اللغة أو أشكال الاستدلال؟ لقد كان على جميع الذين مارسوا تعليم الفلسفة أن يحلوا أولا هذا المشكل، فالتعليم قبل كل شيء هو تبليغ للأدوات»[5] ؛لأنَّ الأداة المركزية هي العقل وقدرته على التأمل والعقلانية والتفكيك والتحليل لأقصى مكونات الموضع

للوقوف على أصله الأول وعلاقاته المترابطة بغيره من الموضوعات المشتركة أو المنفصلة؛ يقول "كنجروود": «للفلسفة خصوصية معينة وهي أن التفكير فيها جزءا منها، فنظرية الشعر يمكن أن تكون ذات أهمية للشاعر أو غير ذات أهمية -لقد اختلفت الآراء حول ذلك –إلا أنها ليست جزءا من الشعر، ونظرية العلم ونظرية التاريخ ليستا جزئيين من العلم والتاريخ، وإذا ما درس العلماء و المؤرخون هذه المسائل، فإنهم يدرسونها لا بوصفهم علماء أو مؤرخين، بل بوصفهم فلاسفة، أما نظرية الفلسفة فهي ذاتها مشكلة من مشكلات الفلسفة؛ وهي ليست مشكلة ممكنة فحسب، إنما هي مشكلة لا مناص من إثارتها إن عاجلا أو آجلا»[6]؛ وهذا يُعزَى إلى طبيعة الفلسفة المجردة والتأملية والتي تخضع إلى عدة دوافع تدفع بالعقل نحو التفلسف منها فعل الدهشة التي اعتبرها أفلاطون أصل الفلسفة فالإنسان ينفعل داخليا أمام مظاهر الكون سائلا العقل عن ماهيتها وفي هذا السياق يؤكد "أرسطو" أن الدهشة تولد الفضول الذي يغذي الشك وعن الشك المولد للشك والباعث على روح التفلسف بشكل منظم ومنهجي أي شك هادف لا عبثي يقوم على التأمل المنتج لا الفاسد والعقيم وفق قواعد تأملية عقلانية يقول "ديكارت" : «إن التأمل قد أثار في نفسي شكوكا كثيرة، فما أدرى السبيل إلى الخلاص منها، ولكني أريد أن أمضي في الطريق عينه، حتى أهتدي إلى شيء يقيني لا شك فيه أو على الأقل حتى أعلم علم اليقين أنه لا شيء في هذا العالم بيقيني، لقد شككت في جميع الأشياء التي أراها، ولكن من يدري فربما هناك شيء غيرها مختلف عنها ولا قبل لنا بالشك فيه»[7].

ويعد السؤال الفلسفي بمثابة تخصيب للعقل المتلقي نحو كسر الإبهام والدخول في عالم التكشف ودلالته المعرفية على اعتبار أن الفلسفة معرفة عقلية تبحث في كل الأشياء والموجودات للوصول إلى عللها الأولى وفق منهج استنباطي استدلالي عقلاني؛ وهذا يتوقف على جنس الأسئلة المطروحة والمثارة في صيغ متعددة ومتفاوت حسب درجة التعقيد والشمول بين مشكلة وإشكالية تارة ولا يكفي الموجه في عملية بناء الدرس الفلسفي بالجواب، بل يعمل على تحويل كل إجابة مهما كانت

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

طبيعتها وقيمتها لسؤال أخر، لأن مهمة الفلسفة توليدية إبداعية تواصلية واستمرارية، مادامت الفلسفة موجهة لفهم الحياة في أبعادها الثلاثة: (ماضي، حاضر، مستقبل)، فإن الكثير يربطها بثلاث مدلولات من حيث علاقتها بالواقع: «أولا هي نظرة شاملة إلى الحياة في مجموعها، وهي من جهة أخرى حل للمشكلات التي تتوسط بين العلم والدين، وهي من جهة ثالثة الآراء التي تنتهي إلى العمل والسلوك مادامت سنة الحياة الحركة والنمو والإبداع»[8]؛ ومن بين أهم مرتكزات الفلسفة هو الاهتمام بأركان الوعي الفلسفي وهي كالآتي:

- **المفهمة:** لأن أول مهمة للفلسفة هو تحديد سياق المفهمة لأنه يشكل إبهام محوري في ذهن المتعلم يأخذ ثلاث أبعاد متداخلة ومتضايفة وظيفيا هي: {أ/اللغة لأنه يعبر عنه بالكلمة تندمج في نسف التواصل، ب/الفكر لأن المدلول يحيل على فكرة أو مفهوم، ج/الواقع لأن ذلك المفهوم يعد موضوعا فكريا يستهدف العالم}[9]؛ أي هناك علاقة اتصال وتواصل متكامل بين اللغة والفكر والواقع فهذه الثلاثية تعبر عن تشكيلة المتعلم المركبة والجوهرية، فالمفاهيم: «تُدرك من خلال سياقها الإشكالي لتستمدّ دلالاتها، لأن الكتابة الفلسفية كتابة مفهومية إجرائية وواعية وليست عفوية لغوية ولا انسيابًا لفظيًا لا واعيًا وبذلك كتابة مقالة فلسفية يستدعي منا الارتقاء بالألفاظ إلى مستوى المفهوم الفلسفي الإجرائي دون مناقضة هدف الإشكالية ومقصدها»[10]، مما يؤكد أهمية المفهمة في بناء التصورات الأساسية لدرس وأبعاده
- **الأشكلة:** يرتبط مصطلح الأشكلة بالفلسفة أكثر من غيره من المفاهيم وأهم تحدٍّ أمام معلم التفلسف إذ يُعَدُّ السؤال بمختلف مستوياته المعقدة أساس العلاقة بين المتعلم والمادة المعرفية.

- **الحجاج** (ARGUMENTS): ما يميز القول إن الخطاب الفلسفي هو أن قائم على الحجة، إما بهدف الإقناع أو الاقتناع، فالحجة هي الاستدلال على صدق الدعوى أو كذبها وهي مرادفة للدليل.

والحجاج جملة: «من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها»[11]؛ من جملة القيم الأخلاقية التي سطرها "ميشال توزي" ومن معه لديداكتيك الحجاج الفلسفي ندرك أن التفلسف قيمة عقلية و أخلاقية روحية وموضوعية لا ذاتية مغلقة ومتعصبة بل منفتحة على الغير بقابلية التواصل الايجابي والتعاون لأجل حقيقة لا يمحقها برهان بعقلانية كونية تحوي الجميع في إطار الأخذ والرد لا الشد والصلابة في الموقف لأنه ينافي مسلمات الجدل والحوار فنحن نهدف إلى تأسيس: «سلوك فكريٍّ بعيدٍ عن منطق المنهج حسا حواريا. يستتبع حوار الإنسية، سيتحدث آخرون كما تحدث هابرماس عن اتيقا تواصلية »[12]، خاصة أن الفلسفة ظاهرة واعية متأصلة في حياة الإنسان وقضاياه يقول" كارل ياسبيرس "(Karl Jaspersالصيغ والمأثورة المأثال الأمثلة في مجتمع الناس في فهي ماثلة «:)في الفلسفية الجارية وفي الاقتناعات السائدة وفي التصورات السياسية وبوجه خاص في الأساطير منذ بداية التاريخ»[13]، الاعتماد على المفهمة والأشكلة والحجاج أو النقد وهي عوامل تحقق كينونة الباحث في الفلسفة وتعطيه دافع للاستمرار بواسطة عملية الشك المعزز بالنقد نحو ترويض العقل وتأسيس حقيقة موضوعية يقول "كانط")(1724 – 1804): «إن النقد يلهمنا لأول مرة بالروح الفلسفية»[14] ،إذا من لا kant(يمتلك خاصية النقد الفلسفي لا يمكن أن يكون له انتماء للمجال التداولي للفلسفة.

من أجل إبقاء فعالية التساؤل مستمر بحثا عن الحقيقة لفك إبهام الجهل بها يؤكد «كارل ياسبرس"(1883– 1969): «إن الأسئلة في الفلسفة أهم من الأجوبة وينبغي أن تتحول كل إجابة إلى سؤال جديد»[15]، وهذا ما يؤكد البعد النظري العميق لدهشة الفيلسوف والتي تعبر عن حركة فكرية من الخارج إلى الداخل أو العكس الصحيح، وهذا يتوقف على طبيعة الموقف أو الشيء محل الدهشة ودرجة ردت

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

الفعل الإدراكية له. يجمل «كارل يسبيرس" مقومات التفلسف في مقولته: «وعلى الجملة فإن أصل الفلسفة يقوم يقينا في الاندهاش وفي الشك وفي تجربة الملابسات النهائية، ولكن هذا كله ينطوي في نهاية الأمر في إرادة التواصل الحقيقي بين الناس»[16].

3. في مفهوم المنهج وعلاقاته المتعدية في البحث:

الفصل في التداخل الوظيفي بين أطراف العملية البرهانية في المعرفة المركبة للوقوف على الحقيقة المشتركة وطبيعتها نشير إلى المعنى التعريفي للمصطلحات ثم نربط بينهما إجرائيا؛ فعلى مستوى اللسان العربي جاء في لسان العرب، المنهج بمعنى: «طريق نهج: بين واضح ومنهج الطريق وضحه»[17]؛ رغم تعدد التعريفات بين اللسان العربي والعجمي على اختلاف المعاجم والموسوعات إلا أن المتفق عليه أن أصل كلمة منهج يعود (**méthode**)الفرنسية ونظائرها في اللغات الأروبية إلى أصلها اليوناني، فكلمة (**methdos**)، مكونة من شقين (**meta**) وتعني ما بعد، ما وراء، ما يلي، ما يواكب والشق الثاني (**hodos**) بمعنى الطريق أو السبيل، فالشق الثاني إحالة ذات دلالة مستقبلية تفيد معنى إتباع أو تبني السبيل الذي يقودنا إلى المعرفة أو النتيجة أو الحقيقية أو القصد ومنهج: «(**Mèthode**) بوجه عام وسيلة محددة وصل إلى غاية معينة»[18]،والمنهج كلمة يستعملها "أفلاطون"(**Platon**) بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة في حين "أرسطو"(**Aristote**) ربطها بمعنى –البحث-[19]، فهو آلية نحو تحصيل المعرفة وتقنينها، وعلم المناهج: (**Methodology**): هو العلم الباحث في الطرق المستخدمة في العلوم للوصول إلى الحقيقة وهو يتناول ثالوثًا منهجيًا هم: (منهج الاستدلال، المنهج التجريبي منهج الاسترداد –التاريخ، القيم) وهي مناهج متعدية بين الفلسفة والعلم ومتكاملة المهام نسبيًا، فالفلسفة حاضرة بديمومة السؤال الحي والعلم مهيأ بلغة اليقين المؤكد وهكذا صيرورة التلاقح الفكري

والتاريخي الدائري بينهما وبين منهج الفيلسوف الذي يمتاز بالتجريد والإغراق في العقلانية والاستدلال والتحليل والحجاج والبحث عن الحقائق المطلقة ومنهج العالم الذي يعتمد على الاستقراء ولغة الكم ومبدأ السببية والنسبية تربط بينهما في مجال البحث حلقة أو وحدة نظام معرفي وتقني ضرورية من أجل المحافظة على سلامة التناسق بين المقدمات والنتائج المعرفية في البحث تسمى المنهجية(**Methodologia**) هي: «العلم الذي يبين كيف يجب أن يقوم الباحث ببحثه»[20]؛ فهي علم المنهج كما أنها تخصص علمي ينظر في المناهج، بحيث لا يمكن للمنهج باعتباره خطوات عمل أن يتطور خارج المنهجية، ومنه يمكن الإشارة إلى الفرق بين المناهج والمنهجية: «المناهج مرتبطة بالمنطق والاستدلال والاستنتاج، فهي تتطور تتعدل من حين لآخر، أما المنهجية فأضحت عموما جملة قواعد ثابتة»[21]، بمعنى الفرق على مستوى الإجراء العقلي الوظيفي حسب حاجة الإدراك والمدرك وطبيعة العصر الذي وجد فيه، إذا يعود الفضل إلى الفيلسوف الألماني ذو النزعة المثالية "ايمانويل كانط"(**Emmanuel Kant**) في وضع علم المناهج حيث اعتبره فرع من المنطق ،فالمنهج لا يكون خصبا وسليما إلا إذا كان منطقي لأن العلاقة بينهما عكسية ومتبادلة، كذلك التفكير لا يمكن أن يصل إلى رتبة المنطق ما لم يكن منهجي، فقد قسم "كانط" المنطق إلى قسمين: «مذهب المبادئ وموضوعه شروط المعرفة الصحيحة، وعلم المناهج الذي يحدد الشكل العام لكل عام، والطريقة التي بها تكون أي علم كان»[22]؛ في السياق ذاته يعتبر "كارل بوبر" (**Karl Popper**): «أنه يوجد من المناهج التي يمكن أن يستخدمها الفيلسوف بقدر ما يريد، فالمهم هنا هو أن تكون لديه مشكلة تستحق النظر وأن يحاول صادقا حلها»[23] وتعدد المناهج قد يكون في الموضوع الواحد مثلا: الحرية تتناول عقليا ووجوديا وواقعيا. مما يعني أن الفلسفة تتعدد مناهجها بين الداخل - الباطن /الاستنباط/والخارج-الوقائع -والجدل الصاعد والجدل النازل والمنطق الصوري والمنطق المادي ماهي إلا ثنائيات متقابلة توحي بمدى التعدد والتضاد والتنوع والاختلاف والوحدة التي يتمتع بها العقل الفلسفي في سياق الخطابات

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

الفلسفية التي تتلون بظروف كل عصر وأيدلوجية كل فيلسوف في أفق السؤال الفلسفي الغير متناهي.

ملاحظة: تشير الكثير من المراجع إلى أن ثمة علوم مناهج جزئية، تختلف باختلاف العلوم ومهمتها تحديد العمليات الواجب إتباعها في دراسته حسب نمط كل فرع معرفي وخصوصياته.

غير أنه في عالم علم المناهج المركب من تداخل العلم والفلسفة يطرح السؤال الآتي: **هل الفيلسوف أم العالم من يضع قواعد المناهج العلمية التي يسير ضمنها علم المناهج في دراسته للعلوم واستخداماتها المنهجية وأصولها المعرفية؟**

يعرفه "بتل": «بأنه الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي نقوم بها، بصدد الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها»؛ ففي العصر اليوناني اقترب المنهج من الفلسفة وأخذ صورًا مختلفة نحو الحقيقة وفي العصر الوسيط اصطبغ المنهج بالسجال أو الخطابات الدينية وبراهينها على قضايا اللاهوت والإيمان والتدين والامتزاج بين مسائل العقل والنقل والاجتهاد وفي عصر النهضة اقترب المنهج من الأدب أكثر من العلم رغم محاولات المناطقة لكن تحديدا في القرن -السابع عشر- عرف المنهج خطوة حاسمة في تطوره و توطين دوره في حقل البحث العلمي والفلسفي بظهور " فرنسس بيكون " (**Francis Bacon**) وكتابه -الأرغانون الجديد- (1620) وصياغته لقواعد المنهج التجريبي بكل وضوح، كذلك دور "ديكارت" (**Descartes**) في كتابه -مقال في الطريقة أو مقال في المنهج–(1637) الذي حول من خلاله تأسسي منهج عقلي يسير به نحو الحكمة الفلسفية و اليقين العلمي، ناهيك لإسهامات مناطقة بور رويال (1662)[24]، حيث جعلوا المنهج القسم الرابع من منطقهم وعرفوا المنهج بأنه: «فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين؛ أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين

نكون بها عارفين»[25]؛ هذه المقابلة توحي بصفة الدقة للمنهج في عملية البحث والتنظيم وهو يأخذ وجهان في البرهنة، الكشف عن الحقيقة بمعنى الاختراع أو الإبداع، الابتكار، الحل، ويفيد كذلك معنى التحليل، خاصة أن قوام الفلسفة هو اعتماد المنهج التحليلي الذي بدأ مع الفلاسفة الطبعيين في تحليلهم لأصل الوجود- ماء، تراب، هواء، نار، عدد- ثم السوفسطائين وتحليل الكلام حيث تأسس معهم علم الميثولوجيا و"سقراط" الذي اعتمد النقاش والحوار والجدل كخصائص للمنهج التحليلي. وصولا لتطور المنهج التحليلي في الفلسفة الانجليزية المعاصرة مع (فريجة، راسل، مور، وفيجنشتاين) ، غير أن :«التحليل مفهوم مضطرب من حيث المعنى وعلاقته بنظريات المعرفة يقابل في لغته الأصل اليونانية(**Analusis**) وفي الفرنسية (**Analyse**) أما الإنجليزية فيعني (**Analysis**) كلها معانٍ تفيد معنى التفكيك والتجزئة أي عكس التركيب والتحليل هو إرجاع الكل إلى أجزائه إذا كان الشيء المحلل واقعيا سمي التحليل حقيقيا أو طبيعيا وإذا كان ذهنينا سمي التحليل خياليا [26]؛ "هيغل" (**Hegel**) التحليل: «ارتقاء في سلم المعرفة وليس نزولا، والدرجة التي تليه هي التوليف، ولذا يؤدي التحليل في النهاية إلى ملموس جديد، إنما ملموس عقلي أو كلي متعين»[27]؛ صار التحليل مدرسة فلسفية قائمة بذاتها مع فلسفة التحليل المعاصر وتطلق هذه التسمية على رواد الواقعية الجديدة التي أسسها "مور" (**Moore**) وكان من مشاهيرها "وايتهد" (**Whitehead**)و "راسل" (**Russell**) والوضعية المنطقية (جماعة فينا) ومن مشاهيرها "كارناب" (**Carnab**) و"ريشنباخ" (**Richenbach**) و"فيتجنشتاين" (**Feitenstein**)؛ هذا الأخير كتب: «غاية الفلسفة التوضيح المنطقي للفكر. وحصيلة الفلسفة ليست مجموعة من (العبارات الفلسفية) بل كون هذه العبارات تتضح»[28]، بمعنى أن الفلسفة وسيلة لوضوح المعاني الحقيقية التي تحملها التصورات والمفاهيم ودلالات المعاني أو الأسماء.

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

والوجه الثاني يعني أننا بعد مرحلة اكتشافها سنقدمها كحجج للمتلقي في إطار تعليمهم إياها والجمع بين الشقين يعطينا تأليف أو تركيب لماهية الحقيقة أو المعرفة.

4. علاقة المنهج بالنظرية المعرفية:

يذهب النقاد والدراسون لمختلف قضايا البحث الفلسفي والعلمي إلى الجزم باكتمال نضج المنهج العلمي في تطابقه مع الحقيقة وتحصيل اليقين على غرار نظيره المنهج الفلسفي وذلك بالقول إن للمنهج : «دائما سبقًا منطقيًّا على النظرية، سواء في الفلسفة أو العلوم الرياضية أو الطبيعية أو الإنسانية، لأن صدق أي نظرية أو قبولها يرجع إلى صدق مقدماتها أو قبولنا لها، كما يرجع إلى سلامة الانتقال من مقدماتها إلى نتائجها، لكن المنهج قد يسبق النظرية أيضا سبقا زمنيا، وقد يتأخر عن إقامة النظرية؛ فبعض العلوم يسبق منهجها نظرياتها في الزمن، وقد يتأخر الإدراك الواضح للمنهج في بعضها الآخر على إقامة النظرية، لكن المنهج في الفلسفة متأخر زمنيا دائما عن النظرية أو المذهب»[29]، يعني في الفلسفة الموقف أو المذهب أسبق من المنهج عكس العلم المنهج أولا تصور المشكلة أولا أو الموقف ثم منهج معالجتها ولعل تجربة "جورج مور"(George Moore) شاهد وحجة على ذلك حين قال عن نفسه: «بدأت مناقشة عدة أنواع من المشكلات، لأنه حدث أن أثارت اهتمامي فاصطنعت مناهج معينة، بدت لي ملائمة لتلك الأنواع من المشكلات»[30]؛ بمعنى أن عملية التقديم والتأخير بينهما واردة وتتوقف حسب مخيال كل فيلسوف أو عالم وحدوده.

5. مناهج البحث بين مهمة الفيلسوف والعالم:

تاريخ الفلسفة والمعرفة العلمية لا ينكر التقاطع بين الفيلسوف والعالم في وضع قواعد المناهج وإن كانت القطيعة نسبية في جوانب تتعلق-كما هو معروف بطبيعة المنهج والموضوع والمجالات واللغة وحدود البحث ومشروعيته- وليست مطلقة ومنه هي: «مسألة لا تتنافى مع فكرة التنسيق، ونرى نحن أن مهمة الفيلسوف لا تتنافى هنا مع مهمة العالم، لأنها خطوة تليها، فالواجب أن يبدأ العالم المتخصص فيرشدنا إلى المنهج الذي اتبعه في أبحاثه وأن يقدم لنا تقريرا مفصلا عن الخطوات التي مر بها وهو بسبيل بحثه في ميدانه الخاص؛ ثم يأتي عالم آخر أوسع أفقا و أميل إلى النظرة العامة، أي يكون ذا نزعة فلسفية فيحاول أن ينسق بين هذه التقريرات التي قدمها العلماء المتخصصون كي يستخلص منها الخصائص العامة للمناهج المختلفة؛ ثم يأتي الفيلسوف المنطقي في الدرجة الثالثة، فيحاول إرجاع هذه المناهج إلى صفات ذاتية في العقل الإنساني، محاولا أن يصوغ النتائج التي وصل إليها السابق في صيغ واضحة تنظم على هيئة مذهب في العقل الإنساني من حيث طبيعة اتجاهاته في البحث عن الحقيقة» ؛ وهذا ما يبرز جوانب التكامل الوظيفي والغائي بين مختلف المناهج ومجالاتها ذلك أنه: «ليس في الفلسفة طريق واحد معبد، ولا يمكن أن نمد الفكر الفلسفي بأدوات كلية»[31]، أي منهاج شامل، فطريقته تبلى مع كل موضوع يتصدى لمعالجته، بمعنى الحرية دليل الإبداع وهو دليل القدرة على الفهم والتمييز والإنجاز عند الفلاسفة والاختلاف دليل التنوع والتنوع دليل التعدد والتعدد دليل الثراء المعرفي وكما يقول " هيغل "(**Hegel**): «لا يمكن أن تظهر الفلسفة إلا حيث يحس الفكر أنه حر»[32]، فالحرية شرط ديمومة الفكر وحصانته، وهذا يتجلى جليا في وجود كم هائل من المناهج الفلسفية التي رسختها وشجعتها الحرية ومبادئ العقل رغم تقابلها وتضادها إلا أنها لا تخرج عن جنس الفلسفة وأبعاده الابستمولوجية الشمولية لذلك قيل: «إن النظريات الفلسفية لا تتميز عن نظريات العلوم الأخرى من حيث أنها مبدئيا لا يمكن البرهان عليها وتمحيصها بواسطة التجربة، وإنما من حيث أن البرهان والتمحيص فيها يتجلى في صورة أخرى»، فطبيعة المجردة للفلسفة

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

لها خصوصياتها التي تفصلها عن خصوصية العلم ومناهجه الوضعية رغم التكامل الوظيفي بينهما في خدمة المعرفة والإنسان والحضارة، ومن باب إنصاف الفلسفة في مهامها و أهميتها نقول: «إذا لم نستطع أن نقول على غرار القدماء أن الفلسفة علم، فإنه لا مناص من أن نعدها شبيهة بالعلم أو قريبة منه، ذلك أن الحد الفاصل بين الفلسفة والعلوم غير ثابت، من حيث أنه لا يرجع إلى طبيعة المشاكل التي لا يمكن أبدا أن يقال عن أحدها بصفة نهائية أنه علمي أو ميتافيزيقي وإنما يرجع إلى تحديدنا لها وإلى اختيار المناهج التي تسمح لنا بمعالجتها»[33]، هذا ما يبقى العلاقة بينهما متأرجحة بين التنافر والتجاذب رغم حضور الكثير من المصطلحات العلمية وبعض منطلقات المنهج العلمي في الكثير من الفلسفات ومناهجها كالفلسفة التحليلية والتداولية.

6. الخاتمة:

نستنتج مما سبق أن تطور الفلسفة واستمرارها متوقف على وفرت مناهجها وتداخلها في سياقات البحث الوظيفية وتنوعها الكيفي مما يكسبها طابع العالمية والفعالية في المسار المعرفي والعلمي، وهذا بفضل أهمية المنهج والمناهج ودورهما في الحرص على تحقيق النظام وشموليته المعرفية داخل كل مذهب أو نسق أو نظرية فلسفية لذلك نقول: «لا ينبغي أن نعتبر هذا التعدد الذي تقتضيه طبيعة الفلسفة مسيئا إلى المعرفة الفلسفية، أولم يجد العلم نفسه، في مثل ذلك منبعا لخصبه وتطوره؟، يمكن أن نتيقن من أن تعدد المناهج في أي مستوى تعمل فيه هذه المناهج لا يمكن أن يسيء إلى وحدة العلم.

إن العلم بتغييره لمناهجه يصير منهجيا أكثر، فنحن في عقلانية دائمة »[34]، وهذا ما يجعل الفلسفة تفكير منفتح وذو أفق متعدد الاهتمامات والغايات، وعلى كل باحث أن يدرك أهمية المنهج في البحث الفلسفي وخصوصيته وآليات التفلسف

فيه-التساؤل المفتوح –مشكلة إشكالات– بتعدد صور المناهج الفلسفية يبقى المنهج التحليلي أو الشارح أو التفكيك المنهج الفلسفي العقلاني الجامع لكل المناهج المتفرعة فهو تقنية عقلية حاضرة في كل المناهج بطريقة صريحة أو مضمرة نحاول تفعيلها باستيعابنا لها وإتقانها بتطبيقها في أبحاثنا المعرفية والأكاديمية فالتحليل هو روح الفكرة القوية وهذا ما يمارسه الباحث المتفلسف الذي يحاول التمرس في بحثه على طرائق التنقيب المعرفي استنباطا أو حدس دون أن نستثني الباحث في العلم فهو أيضا يعتمد التحليل كمنهج لاستنطاق ملاحظاتها وتجاربه العلمية.

7. الهوامش:

[1] Karl, Jaspers: **Introduction à la philosophie**, P11

[2] سيف الإسلام، سعد عمر: **الموجز في منهجية البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية**، ط1، دار الفكر، دمشق، ص11

[3] الطاهر وعزيز: **المناهج الفلسفية**، ط1، المركز الثقافي العربي بيروت، 1990، ص37

[4] ر. ج. كولنجوود: **مقال في المنهج الفلسفي**، ترجمة ودراسة وتقديم فاطمة إسماعيل، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، دط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001، ص152

[5] الطاهر وعزيز: **المناهج الفلسفية**، مرجع سابق، ص14

[6] ر. ج. كولنجوود: **مقال في المنهج الفلسفي**، مرجع سابق، ص145، 146

[7] رينيه ديكارت: **تأملات**، ترجمة وتقديم وتعليق عثمان أمين، تصدير مصطفى لبيب، د ط، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009، ص85

[8] ثريا الأبقع، فهيمة بوحفص: **تعليمية الفلسفة**، دط، المعهد الوطني للتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، الجزائر، 2008، ص09

[9] ميشال توزي وآخرون: **بناء القدرات والكفايات في الفلسفة**، تقديم محمد سبيلا، ترجمة حسن أحجيج، مراجعة عبد الكريم غريب وعبد الهادي مفتاح، ط1، منشورات عالم التربية، دب، 2005، ص38

[10] محي الدين الكلاعي: **طريقة المقال-قواعد منهجية في تحليل النص والمقالة الفلسفية**-مراجعة التيجاني القطاطي، ط2، دار محمد علي النشر، المغرب، 2005، ص15، 16

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

[11] محي الدين الكلاعي: المصدر نفسه، ص15، 16

[12] محي الدين الكلاعي: المصدر نفسه، ص16

[13] محمود حمدي زقزوق: **تمهيد للفلسفة**، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1994، ص13

[14] كرستوفر ونت، أندزجي كليموفسكي: **أقدم لك كانط**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص74

[15] كارل ياسبرس: **تاريخ الفلسفة بنظرة عالمية**، ترجمة عبد الغفار مكاوي، ط1، بيروت، دار التنوير، 2007، ص15

[16] محمود حمدي زقزوق: **تمهيد للفلسفة**، مرجع سابق، ص13

[17] جمال الدين ابن منظور: **لسان العرب**، مج5، ط1، بيروت، دار صيدا، دس، ص4554

[18] إبراهيم مذكور، **المعجم الفلسفي**: دط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2008، ص195

[19] عبد الرحمان بدوي: **مناهج البحث العلمي**، ط3، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977، ص03

[20] عبد الرحمان بدوي: **مناهج البحث العلمي**، مرجع سابق، ص10

[21] محمود زيدان: **مناهج البحث الفلسفي**، ط1، جامعة بيروت العربية، دب، 1974، ص129

[22] الطاهر وعزيز: **المناهج الفلسفية**، مرجع سابق، 32

[23] عبد الرحمان بدوي: **مناهج البحث العلمي**، مرجع سابق، ص7

[24] عبد الرحمان بدوي: المصدر نفسه، ص4

[25] عبد الرحمان بدوي: المصدر نفسه، ص4

[26] زيادة، معين، وآخرون: **الموسوعة الفلسفية العربية (الاصطلاحات والمفاهيم)**، المراجعة والتصحيح، عصماء نعمة، مج1، ط1، مركز الإنماء العربي، دب، 1986، ص236

[27] زيادة، معين، وآخرون: المصدر نفسه، ص238

[28] زيادة، معين، وآخرون: المصدر نفسه، ص238

[29] محمود زيدان: **مناهج البحث الفلسفي**، مرجع سابق، ص130

[30] محمود زيدان: المصدر نفسه، ص130

[31] الطاهر وعزيز: المصدر نفسه، ص25

[32] الطاهر وعزيز: **المناهج الفلسفية**، مرجع سابق، ص25

[33] الطاهر وعزيز: المصدر نفسه، ص25

[34] الطاهر وعزيز: المصدر نفسه، ص32

8. قائمة المراجع:

1. إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، دط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2008
2. ثريا الأبقع، فهيمة بوحفص، تعلمية الفلسفة، دط، المعهد الوطني للتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، الجزائر، 2008
3. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مج5، ط1، بيروت، دار صيدا، دس
4. ر. ج. كولنجوود، مقال في المنهج الفلسفي، ترجمة ودراسة وتقديم فاطمة إسماعيل، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، دط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001
5. رينيه ديكارت، تأملات، ترجمة وتقديم وتعليق عثمان أمين، تصدير مصطفى لبيب، د ط، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009،
6. زيادة، معين، وآخرون، الموسوعة الفلسفية العربية (الاصطلاحات والمفاهيم)، المراجعة والتصحيح، عصماء نعمة، مج1، ط1، مركز الإنماء العربي، دب، 1986
7. سيف الإسلام سعد عمر، الموجز في منهجية البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية، ط1، دار الفكر، دمشق
8. الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، ط1، المركز الثقافي العربي بيروت، 1990
9. عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، ط3، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977
10. كارل ياسبرس، تاريخ الفلسفة بنظرة عالمية، ترجمة عبد الغفار مكاوي، ط1، بيروت، دار التنوير، 2007
11. كرستوفر ونت، أندزجي كليموفسكي، أقدم لك كانط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002
12. محمود حمدي زقزوق، تمهيد للفلسفة، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1994
13. محمود زيدان، مناهج البحث الفلسفي، ط1، جامعة بيروت العربية، دب، 1974
14. محي الدين الكلاعي، طريقة المقال-قواعد منهجية في تحليل النص والمقالة الفلسفية-مراجعة التيجاني القطاطي، ط2، دار محمد علي النشر، المغرب، 2005
15. ميشال توزي وآخرون، بناء القدرات والكفايات في الفلسفة، تقديم محمد سبيلا، ترجمة حسن أحجيج، مراجعة عبد الكريم غريب وعبد الهادي مفتاح، ط1، منشورات عالم التربية، دب، 2005
16. Karl, Jaspers : Introduction à la philosophie